﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠﴾ [طه: 9 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

تسلية قلب الرَّسول ﷺ وتصبيرُه على تحمُّل الشَّدائد

لَمَّا عَظَّمَ الله تعالى القُرْآنَ، وتضمَّنَ تعظيمَ رسولِه ﷺ فيما كَلَّفَهُ؛ أَتْبَعَ ذَلِكَ بذكر قصّة موسى تقويةً لقلبِ رسولِه ﷺ، وليتأسَّى به في تحمُّل أعباءِ النُّبوَّةِ وفي الإبلاغ، وليُصَبِّرَهُ على تَحَمُّلِ المَكارِه ومقاساةِ الشَّدائد والمصاعب، وليُسَلِّيَ قلبَ الرَّسولِ ﷺ بِذَلِكَ بأنَّ الذين كذَّبوه، سيكون جزاؤهم جزاءَ مَنْ سلفَهم منَ المكذِّبين، فقال تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَدِيثُ﴾: يدور معنى اللّفظ على كَوْنِ الشَّيْءِ بعدَ أن لَم يَكُنْ، يُقالُ: حَدَثَ أَمرٌ بَعْدَ أَنْ لَم يَكُنْ، والحَديثُ مِنْ هَذا؛ لأَنَّهُ كلامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ، وكلُّ كلام يبلغُ الإنسانَ من جهة السّمع أوِ الوحي في يقظته أو منامه؛ يقال له: حَديث، والحديثُ: الخبرُ، يأتي على القليل والكثير، والحديثُ في الآية بمعنى ما حُدِّث به موسى عليه السلام وعوملَ به حين ناداه ربُّه[2].

2) ﴿لِأَهۡلِهِ﴾: أهلُ الرجل من يجمعُه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلدٍ، وأهلُ الرّجل في الأصل: من

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 15، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 192، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 193.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حدث).

يجمعُه وإياهم مسكنٌ واحدٌ، ثم تُجوِّز به، فقيل: أهلُ الرّجل لمن يجمعُه وإيَّاهم نسب، ثمَّ خُصَّ، فأُطلقَ على أخصِّ النَّاسِ به من زوجٍ وولدٍ، كما يطلقُ على امرأة الزَّوجِ فقط، ومنه التَّأَهُّلُ بمعنى التَّزَوُّجُ[1].

3) ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾: (مكث) يدورُ على ثباتٍ وانْتِظارٍ مدَّةً منَ الزَّمن، والمُكْثُ بضمِّ الميم وكسرِها: الإقامةُ مع الانْتِظارِ والتَّلَبُّث في المَكانِ، ويقال: مَكُثَ ومَكَثَ وتَمَكَّثَ؛ إذا انتَظَر أَمرًا، وأَقام عليْه، ومنه المَكيثُ، وهو الرَّزينُ الَّذي لا يَعْجَل في أَمره، و﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ في الآية بمعنى طلبِ المُقامِ مع الانتِظارِ[2].

4) ﴿ءَانَسۡتُ﴾: (أنس) يدورُ على ظُهورِ الشَّيْءِ ورؤيتِه والإحساس به، والأُنْسُ خلافُ النُّفور والاستيحاش، وأَنِسَ الإنْسانُ بالشَّيْءِ؛ إذا لَم يَسْتَوْحِشْ مِنْهُ، والإيناسُ: الإبْصارُ البَيِّنُ الَّذي لا شُبْهَةَ فيه، ومِنْهُ إنْسانُ العَيْنِ، أي: ناظرُها، فإنَّهُ يَبينُ به الشَّيْءُ، وقيلَ: سُمّي الإنْسُ إنسًا لِظُهورِهم وإدراكِ البصر إيَّاهم، ولأنَّه يُؤنَسُ بهم، كما أنَّ الجنَّ سمّوا كذلك لاسْتِتارِهم، وإيناسُ النَّار هو رؤيتُها من بعيد[3]، و﴿ءَانَسۡتُ﴾ في الآية بمعنى أبصرتُ، يقال للذي أبصر الشّيءَ من بعيد، فسكنَ إليه: آنسه[4].

5) ﴿بِقَبَسٖ﴾: القبسُ هو الشعلةُ التي تؤخذُ منَ النَّار، واقْتِباسها الأخذُ منها، والقابسُ طالبُ النَّار ليأخذ منها شعلةً، وقبستُه نارًا جئته بها، ويُستعار الاقتباسُ للعلم والمال وغيرِهما، بمعنى أخذِ جزءٍ من مجموعٍ عظيمٍ[5]، و﴿بِقَبَسٖ﴾ في الآية النَّارُ في طَرَف العود أوِ القصبة التي تُؤخذ للانتفاعِ منها[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

جاءت هذه الآياتُ تسليةً للنَّبيِّ ﷺ بما ناله من أذى قومِه وتذكيرًا له بما حصل لموسى ﷺ من تحمُّله الشَّدائد وصبرِه على التَّبليغ، فقال مبيِّنًا جانبًا من قصَّةِ موسى ﷺ: وهل

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أهل).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مكث).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أنس)، والزمخشري، الكشاف: 3/ 53.
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 21، والواحدي، التفسير البسيط: 14/ 364، وابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 226.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قبس).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 276، وابن الهائم، التبيان في تفسير القرآن، ص: 226.

بلَغكَ يامحمَّد ﷺ حديثَ موسى بنِ عمران، إذ رأى نارًا؛ فقال لأهله مبشِّرًا لهم: أقيموا مكانَكم، وانتظروا؛ لأنّي أبصرتُ نارًا من بعيدٍ، واستأنستُ بها - وهم في وحشة ظلامٍ حالكٍ وليلٍ بهيمٍ - وسأذهب إليها لعلّي أجيئكم منها بشعلةٍ على رأس عود أو نحوِه تشعلون بها نارًا تُضيء لكم، ويكشفُ لكم الظُّلمةَ الحالكةَ، أو أجدُ خبرًا هاديًا يدلُّني على الطّريق الذي أضللناه[1].

تسليةُ المؤمنين بذكر قصص الأنبياء والمرسلين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواو في الآية:

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ تفيدُ العطفَ؛ لربط هذه القصَّةِ بما تقدَّم من أوَّل السّورة إلى هذا الموضعِ، فهو من عطف القصَّةِ على القصَّة[2]، لاشتراكِهما في معنى الخبريَّة، فإنَّ ما تقدَّم أخبارٌ، والمعطوفُ إنشاءٌ في اللّفظ خبرٌ في المعنى كما سيأتي، وللمناسبة في المعنى، وهو تقريرُ أمرِ توحيد الله تعالى وبيانِ أنَّه مستمرٌّ بين الأنبياء وتَثْبيتُ الرَّسولِ على التَّبْليغِ بذكرِ قصَّة موسى ليتأسَّى به في الصَّبر وتحمُّل أعباءِ الرِّسالة.

أمرُ التَّوحيدِ مُستمرٌّ في دعوةِ الأنبياءِ

بلاغةُ الاستفهامِ المجازيِّ في الآية:

الاستفهامُ هنا في قولِه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ ليس على حقيقتِه؛ لأنَّه صادرٌ منَ الله تعالى، فهو استفهامٌ على معنى تقرير الخبر، و﴿وَهَلْ﴾ بمعنى (قدْ)، ولمَّا كانت (قدْ) مع الماضي تفيدُ تحقيقَ الخبرِ في الزَّمن الماضي؛ ذكر المفسِّرون لهذا المعنى احتمالَين: فإن كان هذا أوَّلَ ما نزل من قصّة موسى - والسّورة من أوائل ما نزل من القرآن - فمعناه: لم يأتِكَ حديثُ موسى إلى

تنوُّعُ معاني الاستفهامِ المجازيِّ وتكثُّرُ دلالتِه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 275 - 277، والمراغي، تفسير المراغي: 16/ 98.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 480.

الآن؛ فقد أتاك الآن، فاسمعه، فاعتبِرْ به، وإن كان نزل قبله من قصَّة موسى شيء؛ فهذا تذكيرٌ به[1]، ويلوحُ في الأفق أنَّ ﴿وَهَلْ﴾ بمعنى (قد) بمعنى التَّقريب، وفيها معنى التَّقريرِ، مثل (قد قامت الصلاة)، ولهذا أعقب الاستفهامَ ذكرُ قصَّة موسى مباشرةً، ولمجيء التَّقرير بصيغةِ الاستفهام دون أن يقال مثلًا: (قد أتاك حديث موسى)؛ فوائدُ بلاغية:

أحدُها: تثبيتُ الخبر في نفس المخاطَب وتقريرُه، فإنَّ ﴿وَهَلْ﴾ معبِّرَةٌ عن (قد)، أو يقال: (هَلْ) في الاِسْتِفْهامِ مِثْلُ (قَدْ) في الإِخْبارِ في معنى التَّأكيدِ.

ثانيها: تشويقُ المخاطَبِ إلى معرفة الخبر والتَّطلُّعِ إلى الإصغاء إليه أتمَّ الإصغاء؛ لأنَّه ينتظر الجوابَ منَ السَّائل، فالاستفهامُ ليس على حقيقتِه.

ثالثُها: تنبيهُ النَّفس إلى استماع ما يورَدُ عليها، وهذا كما تبدأ الرّجلَ إذا أردت إخبارَه بأمر غريب عجيبٍ؛ فتقول: أعلمتَ كذا وكذا؟ ثم تبدأ تُخبرُه.

رابعُها: بيانُ أنَّ مثل هذا الخبرِ ممَّا ينبغي ألَّا يخفَى على المخاطَب لحاجتِه إلى معرفتِه.

خامسُها: تفريغ أذنِ المخاطَب لسَماعِ الخبرِ وتهيئةِ قلبِه للوعيِ العظيمِ.

سادسُها: تشريفُ المخاطَبِ به[2].

نُكتة التَّعبيرِ بلفظ ﴿حَدِيثُ﴾:

قصَّةُ موسى ممَّا ينبغي التَّحدُّثُ بها لِما فيها مِنَ العِظاتِ الجسيمةِ

الظَّاهرُ أنَّ المرادَ من ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ ما يُتحدَّثُ به عن موسى؛

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 271، والواحدي، التفسير البسيط: 14/ 362، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 314، وإسماعيل حقي، روح البيان: 5/ 368.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 362، والبغوي، معالم التنزيل: 3/ 256، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 263، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 38، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.

لأنَّ القصَّة فيها إخبارٌ عن موسى ﷺ وكلامٌ له، فيكونُ التَّعبيرُ بـ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ إيجازًا عن كلِّ ما أخبرت به القصَّةُ، فالحديثُ هو الخَبَرُ، وهوَ اسْمٌ لِلْكلامِ الَّذي يُحْكَى بِه أَمرٌ حَدَثَ في الخارِجِ[1]، ونكتةُ التَّعبير بالحديث دون الخبر هو الإشعارُ بأنَّه ممَّا يُتحدَّث به، ويُشاعُ بين النَّاسِ لأهميَّتِه لِما فيه منَ العِبَرِ والعظاتِ الجسيمةِ ولتنبيه المخاطَبين إلى الإصغاء إليه.

فائدةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾:

شَرُفت قصّةُ موسى لارتباطِها واختصاصِها بموسى ﷺ

الإضافةُ إمَّا أن تكون على معنى اللَّام، فتفيدُ الاختصاصَ، أو أن تكونَ لأدنى ملابسةٍ، وعلى الوجهين، فالإضافةُ تفيدُ تشريفَ المضافِ ﴿حَدِيثُ﴾ لشرفِ المضافِ إليه ﴿مُوسَىٰٓ﴾، وأنَّ كلَّ تفصيلٍ للقصَّة هو من ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

بلاغةُ الاستعارة في الآية:

إسنادُ الفعلِ إلى غير ما يكونُ منه

لمَّا أُسند الحديث إلى الفعل ﴿أَتَىٰكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ دلَّ على أنَّ الإسناد غيرُ حقيقيّ؛ لأنَّ الحديث لا يكونُ منه إتيانٌ، ففي الكلام استعارة مكنيَّةٌ؛ إذ شبَّه الحديثَ بالعاقل ذي الإرادةِ والقدرةِ إشعارًا بعلوِّ شأنِ ما يُحدَّثُ به وللاعتناء به ولإظهار فخامته، ثمَّ حُذِفَ المشبَّهُ به، وأقيم المشبَّهُ مقامَه، والقرينةُ إسنادُ الفعل ﴿أَتَىٰكَ﴾ إلى لفظِ ﴿حَدِيثُ﴾، أي: إسنادُ الفعل إلى غير ما يكونُ منه.

بلاغةُ التّقديم في: ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾:

رسولُ الله ﷺ أوّلُ المخاطَبين بقصَّة موسَى للانتفاعِ منها

قُدِّمَ المفعولُ به على الفاعل مع أنَّه واجبُ التَّقديم أصلًا لاتِّصالِ الضَّمير بالفعلِ؛ لتشريف الرَّسول ﷺ المقصودِ بالخطاب، وللإشعار بأنَّه هو الأولى أن يعلم خبرَ قصَّة موسى ﷺ، وما وقع له حين رأى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 193.

النَّار، وما جرى له بعد ذلك، كما أنَّ في تقديم المفعول رعايةً للفاصلة، ببنائِها على الألف المقصورة في﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ و﴿مُوسَىٰٓ﴾؛ لإثراء المعنى ولجمال النَّغم الصَّوتيّ في رؤوس الآي، ممَّا ييسِّرُ تلاوتَه وحفظَه وجذبَ السَّمع إليه حين يُتلى ويُرتَّلُ ترتيلًا، وهو من تمام إعجاز القرآن وبراعة نظمِه.

بلاغةُ الفصلِ في: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾:

بيانُ المجملِ لتشويقِ المخاطَبين واستدرارِ سمعِهم

جاءت جملةُ ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ على طريق الفصلِ للإيذانِ بأنَّها بيانٌ لِما أُجمِلَ في قولِه: ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ لأنَّ ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ لفظٌ مجملٌ أوجزَ فيه الكلامُ، ثمَّ فصَّل المجملَ، وبيَّنه بقولِه: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾، لتشويق المخاطَبين واستدرارِ سمعِهم إلى استعلامِ كُنْه الحديث وتفصيلِه؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ النَّارِ تَحْتَمِلُ أَحْوالًا كَثِيرَةً[1]، وعلى هذا التَّوجيه يكونُ ﴿إِذۡ﴾ ظرفًا لفعلٍ يقتضيه السّياقُ، تقديرُه (اذكر)، أو ظرفًا لمضمرٍ، أي: حين رأى نارًا كان كذا وكذا ممَّا أخبرَ عنه في القصَّة، وهذا الأسلوب شائعٌ في القرآن وفي الكلام البليغ، ويحتملُ أن يكون ﴿إِذۡ﴾ ظرفًا لـ﴿حَدِيثُ﴾؛ لأنَّه حدثٌ بمعنى التَّكلُّم؛ فهو اسمٌ للكلام، فلا فصلَ بين الآيتين؛ لأنَّه من تمام قولِه: ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، والمعنى: (هل أتاك ما تحدَّثَ به موسى حين رأى نارًا)[2]، ولعلَّ التَّوجيهَ الأوّلَ، أي: أن يكون الكلامُ على الفصلِ أولى؛ لأنَّ الحديث يكون بمعنى الخبر، فيكونُ أعمَّ؛ إذ يتناول كلامَ موسى عليه السلام وما أُخبِرَ به عنه، كما أنَّ وصف القصةِ أو الخبرِ بالإتيان وتفصيل ذلك الإتيانِ أولى من وصف التَّحدُّثِ والتَّكلُّم به؛ لأنَّ التَّكلُّمَ حدثٌ ليس له أجزاء تقتضي التَّفصيلَ، ولهذا اقتصر عليه النَّسفيّ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 194.

(2) بن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 38، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 233/ 53، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 318 - 319.

(3) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 358، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 480.

بلاغةُ التَّعبير بـ﴿إِذْ﴾:

في التَّعبير بـ﴿إِذْ﴾ إشعارٌ بالحدثِ الخطير الذي وقع في ذلك الحين، وتنبيهٌ إلى أنَّ مايُذكر بعد ﴿إِذْ﴾، ينبغي الاهتمامُ به والإصغاءُ إليه، ولا يأتي هذا الظَّرفُ في افتتاح كلامٍ إلَّا إذا كان فيه حدثٌ له أهميَّةٌ بالغةٌ للمخاطَب.

الظَّرفُ (إِذْ) لا يأتي في صدرِ كلامٍ إلَّا لأمرٍ بالغِ الأهمّية

فائدةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿رَءَا نَارًا﴾:

عُبِّرَ بالرُّؤية إيذانًا بالجزمِ برؤيته نارًا، ولمَّا دخل ظرفُ الزَّمان على جملةِ ﴿رَءَا نَارًا﴾؛ أفادَ أنَّ مبدأ عِظَمِ القصَّة ومورِدَ علوِّ شأنِ ما يُخبَرُ عنه هو رؤيةُ موسى النَّارَ، فأراه اللّٰه تعالى النَّارَ حتَّى خرج من أهله يطلبُها، وكان المقصودُ إخراجَه من بينهم، فإظْهارُ النَّارِ لِموسَى رَمزٌ رَبَّانيٌّ لَطيفٌ؛ إذْ جَعل اجْتِلابَهُ لِتَلَقّي الوَحْيِ بِاسْتِدْعاءٍ بِنورٍ في ظُلْمَةٍ رَمزًا على أَنَّهُ سَيَتَلَقَّى ما به إنارَةُ ناسٍ بِدينٍ صَحيحٍ بَعْدَ ظُلْمَةِ الضَّلالِ وسوء الاعْتِقاد[1].

ألاحَ الله تعالى لموسى النَّارَ لتكونَ مبدأَ عِظَمِ قصَّةِ ما يأتي بعدَها

نُكتةُ الإضمارِ في قوله: ﴿رَءَا﴾ و﴿فَقَالَ﴾:

يعودُ الضَّميرُ في الموضعَين على ﴿مُوسَىٰٓ﴾ في قولِه: ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، ولم يأتِ الفاعلُ ظاهرًا؛ لأنَّ الإضمارَ أبلغُ للإيجاز ولظهورِ المعنى، كما أنَّه يُشعرُ أنَّ مدارَ القصَّة عليه، وليس على أهله، ولهذا لم يقل: (إذ رأى هو وأهلُه نارًا، فقال لهم: امكثوا) مع أنَّ النَّارَ إذا كانت في ليلٍ؛ تظهر لكلِّ ناظرٍ.

مدارُ القصَّةِ على موسى عليه السلام وليس على أهلِه

نكتة تنكير ﴿نَارًا﴾:

التَّنكيرُ للإيذانِ بأنَّها نارٌ لم يكن يعرفُها، ولم يرَها من قبلُ، أي: هي غيرُ معيَّنةٍ ولا معلومةٍ، وربَّما أفاد التَّنكيرُ تعظيمَ شأن هذه النَّار وتفخيمَها، لا سيَّما وهو يبحث عن شيءٍ يُطمئن نفسَه في وحشة سفره.

التّنكيرُ للإبهامِ، أو للتّعظيم والتّفخيم

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 2/ 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 195.

معنَى الفاء في قوله: ﴿فَقَالَ﴾:

لمَّا كانت رؤيةُ موسى النَّارَ في ليلٍ؛ فرَّع عليه قولَه لأهله، وأعقب رؤيتَه للنَّار قولَه لهم: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ إشعارًا بشدَّة حاجتِهم للنَّارِ في تلك اللَّيلة الشَّاتيةِ.

حاجةُ النَّاس أكثرُ إلى النَّار في اللَّيلة الشَّاتيةِ الباردةِ

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿لِأَهۡلِهِ﴾:

عُبِّر بلفظ ﴿لِأَهۡلِهِ﴾، وهمُ الزَّوجُ والأولادُ للإيذانِ بأنَّ أهلَ موسى عليه السلام كانوا معهُ وأنَّه كان مهتمًّا بهم وساعيًا إلى الإحسانِ إليهم بأخذ قبسٍ منَ النَّار لحاجتِهم لها في ذلك الليل البهيم.

خِدمةُ الرَّجُلِ أهلَه إحسانٌ وصِلةٌ وتَواضُعٌ

دلالةُ الأمر في قوله: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾:

أمرهم عليه السلام بالمكثِ في مكانِهم؛ لئلَّا يتَّبعوه فيما عزم عليه منَ الذّهاب إلى النار، كما هو المعتادُ، حرصًا على أهلِه وخوفًا عليهم؛ لا لئلَّا ينتقلوا إلى موضعٍ آخرَ؛ فإنَّه ممَّا لا يخطُر بالبال[1]، فالأمرُ هنا أفاد الوجوبَ، وهو حقٌّ للزوج على زوجته.

الحرصُ على راحةِ الأهلِ والخوفُ عليهم من سُنَنِ الأنبياء والمرسلين

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾:

لمَّا كان المكثُ بمعنى الإقامة في موضعٍ واللُّبثِ فيه مع الانتظار مدَّةً قليلةً منَ الزَّمن؛ عُبِّرَ به هنا دون أن يقول: (أقيموا)؛ لِأَنَّ الإقامَةَ تَقْتَضي الدَّوامَ، والمُكْثُ لَيْسَ كذلك[2]، لكي يأمنَ أهلُه بذهابِه، ويُؤذنَهم أنَّه راجعٌ إليهم، ولن يطيلَ عليهم، وفيه تنبيهٌ لهم بألَّا يعجلوا، فيتَّبعوه عندَ ذهابِه إلى النَّار.

منَ الإحسانِ إلى الأهلِ إخبارُهم بموضعِ الذَّهابِ وإيذانُهم بالرُّجوعِ

بلاغةُ الرَّبطِ والتَّعليلِ في الآية:

في قولِه تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ جاءت ﴿إِنِّيٓ﴾ تعليلًا للأمر بالمُكثِ ولربطِ هذه الجملةِ وما يليها بما قبلَها، أي: إنَّه أمرهم

توفّرُ وسائلِ الدّفءِ للإنسان تدعوه إلى الاستقرارِ والاطمئنانِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 6.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 172.

بالإقامة في مكانِهم؛ لأنَّه آنس نارًا، أو يكون سببُ مكثِهم هو أنَّه آنسَ نارًا، فالجملة تعليلٌ للأمرِ أو للمأمور[1]، ولذلك لم تُعطف على سابقتها لكمال اتِّصالِها بها.

فائدةُ تتابعِ التّأكيدِ في الآية:

لَمَّا وجَدَ موسى ﷺ مِنْ نفسِه الإيناسَ، وكان مقطوعًا به عندَه متيقَّنًا؛ لأنَّ إيناسَ النَّار بمعنى رؤيتِها من بعيدٍ بالبصرِ؛ حققَّه لهم، وأكَّدَهُ بكلمةِ ﴿إِنِّيٓ﴾ وبالجملة الاسميَّةِ في قولِه: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾، وبمجيءِ المسندِ جملةً فعليَّةً تضمَّنت تَكرارَ ذكرِ المسنَدِ إليه؛ لتوطينِ أنفسِهم، ولِقَصْدِ الاهْتِمامِ به بِشارَةً لِأَهْلِه؛ إذْ كانوا في الظُّلْمَةِ، فليس مجيءُ الخبرِ بثلاثةِ مؤكِّداتٍ للردِّ على تردُّدٍ من أهلِه أو إنكارٍ منهم على رؤيتِه النَّارَ وعزمِه الذَّهابَ إليها[2].

مـنَ الإحـسـانِ بالأهلِ تبشيرُهم بـــزرعِ الأمـــنِ والطُّمأنينةِ في نفوسِهم

بلاغةُ مجيءِ المسنَدِ جملةً فعليَّةً في الآية:

أفاد مجيءُ المسنَد في قولِه: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ جملةً فعليَّةً تقويةَ الحكمِ، والمقامُ مقامُ توكيدٍ وتحقيقٍ؛ ليُطمئِنَ أهلَه، ويبثَّ فيهم الأمنَ في ذلك اللَّيل المُظلمِ والشّتاء البارد، وجاء الفعلُ بصيغة الماضي للقطعِ بإيناسِه النَّارَ.

بـثُّ الأمـــنِ في نـفـوسِ الأهـلِ دفءٌ وراحةٌ لهم

نُكتةُ الإسنادِ في قولِه: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾:

أشعر الإسنادُ إلى ضمير المتكلِّم المقصودِ به موسى ﷺ أنَّ الإيناسَ وُجِدَ منه، وكانَ مُنْتَفيًا عن أهلِه حَقيقَةً[3]؛ تمهيدًا للقيامِ بالمهمَّة وإيذانًا بأنَّه هو المطلوبُ.

نسبة المسبَّب إلى السبب

نُكتة العُدولِ إلى لفظِ ﴿ءَانَسۡتُ﴾:

عبَّرَ أوَّلًا بالرّؤية في قولِه: ﴿رَءَا نَارٗا﴾؛ لأنَّ المرادَ حصولُ الرّؤية

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 6، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 481.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16، والشهاب، حاشية على البيضاوي: 6/ 331، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 481، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 149.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.

لفظُ (أنسَ) يفيدُ حصولَ الرُّؤية من غيرِ شبهةٍ مع الأُنسِ بالمَرئيِّ

بالعين، ثمَّ عدلَ إلى الإيناس لمناسبة المقام، فإنَّ لكلِّ كلمةٍ في القرآن مع أختِها مقامًا، وسببُ العُدول إلى ﴿ءَانَسۡتُ﴾ هو إعلامُ موسى أهلَه أنَّه أبصرَ النَّارَ إبصارًا بيِّنًا لا شبهةَ فيه، وأنَّه أحسَّ بها، ويُلمَحُ في اللّفظ شعورُه بالأُنسِ بها والسَّكنِ إليها في وحشةِ الليل وشدَّة البرد[1]، كما أفاد اللّفظُ أنَّ النَّارَ بعيدةٌ عنهم، كما تقدَّم في شرح مفردةِ ﴿ءَانَسۡتُ﴾؛ ولهذا أعقبَ إيناسَه بالنَّار رجاءَه بحصولِ الخير لهم من ذهابه، فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

نُكتةُ إعادةِ لفظِ ﴿نَارًا﴾:

لمَّا اختلف مقامُ الكلام؛ تكرَّر لفظُ النَّارِ نكرةً

ذُكر اللّفظُ أوَّلًا عند قوله: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾؛ لأنَّه من إخبار الله تعالى، ثمَّ أعيدَ في قولِه: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾؛ لأنَّه مقولُ قولِ موسى عليه السلام لأهلِه، فلمَّا اختلف الإخبارُ؛ أُعيد اللّفظُ زيادةً في تقريرِ المعنى وبيانًا لأهميَّة ما سيقع عندَ النَّار، ولاختلافِ الإخبار جاء اللّفظُ نكرةً في الموضعين، ويحتملُ أنَّ موسى عليه السلام كانَ قدْ أبصرَ النَّار وحدَه، فلمَّا أخبرَ أهله؛ جاء اللّفظُ نكرةً، فاللّفظُ ذُكِرَ لأوَّل مرَّةٍ مع أهلِه، وهي نارٌ غيرُ معروفةٍ ولا منسوبةٍ لأحدٍ فاستحقَّ اللّفظُ التَّنكيرَ.

سببُ إيثارِ التَّعبيرِ بالأداةِ ﴿لَّعَلِّيٓ﴾:

لا تَعِدْ ما لم تتيقَّن بالوفاءِ به

لَمَّا كانَ الإيناسُ بالقَبَسِ ووُجودِ الهُدَى مُتَرَقَّبَيْنِ مُتَوَقَّعَيْنِ، وكان حصولُهما مترتِّبًا؛ بُني الأمرُ فيهما على الرجاء، فقالَ: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾، ولَم يَقْطَعْ، فيَقولُ: (إنّي آتيكُم)؛ لِئَلَّا يَعِدَ ما لَم يَتَيَقَّنِ الوَفاءَ به، بخلاف الإيناس، فإنَّه كان محقَّقًا؛ ولذلك أكَّدَه لهم ليوطِّنوا أنفسَهم عليه كما تقدَّم[2].

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 363، وأبو البقاء الكرماني، لباب التفاسير، ص: 1396.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 53، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 24.

فائدةُ التَّعبيرِ بالإيتاء:

عبَّرَ بالإيتاءِ على معنى توقُّع تحصيل القبس وسهولةِ الإتيانِ به إلى أهلِه.

الإيتاءُ يدلُّ على سهولةِ الحصولِ على الشّيءِ

معنى ﴿مِّنْهَا﴾:

(مِنْ) هنا تبعيضيَّة، بمعنى آتيكم بشعلةٍ مقتبسةٍ من معظمِ النَّار التي آنستُها.

غرضُ تقديمِ ﴿مِّنْهَا﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿مِّنْهَا﴾ على ﴿بِقَبَسٍ﴾ ليكون حالًا منَ القبس، والغرضُ منَ التَّقديم الإشعارُ بأهميَّة النَّار التي آنسَها، وأفادَ التَّقديمُ أنَّ القبس يكونُ منَ النَّار التي آنسَها، وليس من غيرِها.

الإشعارُ بأهمّية النَّار التي آنسها موسى عليه السلام

معنَى الباءِ في قوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾:

الباء للإلصاقِ بمعنى أنَّ إتيانَ موسى أهلَه يكون ملتصقًا بالقبس غير منفكٍّ عنه.

نُكتةُ تنكيرِ ﴿بِقَبَسٍ﴾:

جاء لفظُ ﴿بِقَبَسٍ﴾ نكرةً للإشعارِ بأنَّه يأتي أهلَه بأيِّ قبسٍ، ولو كان قليلًا.

الحرصُ على إيناسِ المستوحشِ ولو كان قليلًا

معنَى ﴿أَوْ﴾:

﴿أَوْ﴾ هنا لمنعِ الخُلوِّ[1]، بمعنى: أنَّه يتوقَّعُ تحصيلَ أحدهما أو كليهما معًا.

الواوُ لتحصيلِ أحدِ الأمرين أو كليهما

سببُ العطفِ في قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ﴾:

قد يقالُ: ما سببُ عطفِ قولِه: ﴿أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ على الإتيانِ بقبسٍ منَ النَّار؟ وجوابُه: أنَّه أراد الأمرَين، كما تقدَّم في

ظهورُ النَّار وعُلوُّها لا يخلو من أهلٍ لها وناسٍ عندها

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 6، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 319.

معنى ﴿أَوۡ﴾، ولأنَّ النَّارَ لا تخلو من أهلٍ لها وناسٍ عندها[1]، ولأنَّ إضاءةَ النَّار العظيمةِ أقوى وأظهرُ في الدّلالة على الطَّريقِ.

نُكتةُ حرفِ الاستعلاءِ في قولِه: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

الاستعلاءُ على معنى الإشرافِ على النَّارِ والقيامِ عليها

الظَّاهرُ أنَّ لفظةَ ﴿عَلَى﴾ هُنا على بابِها مِنَ الاِسْتِعْلاءِ، ومَعْنَاهُ: أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَسْتَعْلونَ المَكانَ القَريبَ مِنْها الملاصقَ لها، ولأَنَّ المُصْطَلينَ بِها والمُسْتَمتِعينَ إذا تَكَنَّفوها، وأحاطوا بها قيامًا وقُعودًا، كانوا مُشْرِفينَ عليْها[2]، وذهب بعضُ اللّغويّين والمفسِّرين إلى أنَّ ﴿عَلَى﴾ مضمِّنةٌ معنى عندَ، والمعنى: (أو أجدُ عندَ النَّار مستشرفًا عليها هدًى)[3].

معنى (أل) في ﴿ٱلنَّارِ﴾:

(أل) هنا عهديَّةٌ، بمعنى أجدُ على النَّار التي آنستُها هدًى، والمرادُ النَّارُ التي آنسها موسى عليه السلام.

غرضُ تقديمِ ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

التّقديمُ للاهتمام ورعايةِ الفاصلة

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ على المفعول ﴿هُدًى﴾ للاهتمامِ بالنَّار؛ لأنَّها موضعُ حاجتِه، فإمَّا أن يأتي منها بقبسٍ، أو يجدَ عليها هدًى يرشدُه إلى الطَّريق، كما أنَّ في التَّقديم رعايةً للفاصلةِ.

فائدةُ الإظهارِ في قولِه: ﴿أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾:

الهُدى هو المقصودُ الأوَّلُ طلبًا وعنايةً

لَمَّا قال: ﴿ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾؛ كان الظَّاهرُ أن يقال: (أو أجد عليها هدًى)، لكنَّ النَّظمَ الكريمَ جاء على خلافِ مقتضى الظَّاهر، فأظهرَ في موضعِ الإضمارِ للإشعارِ بأنَّ الهدى هو المقصودُ، وهو الأوَّلُ طلبًا والأَولى عنايةً، وأنَّ هداه المطلقُ سيكون على النَّار التي آنسَها.

---

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 365.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 53، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16.

(3) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 264، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 24، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 315.

نُكتةُ التَّعبير بلفظِ ﴿هُدًى﴾ وتنكيرِها:

الهُدى اسمٌ لكلِّ ما يُهتدى به من طريقٍ أو مُرشدٍ هادٍ أو دليلٍ أو علامةٍ

لَمَّا كان الهُدى اسمًا لكلِّ ما يُهتدى به من طريقٍ أو مُرشدٍ هادٍ أو دليلٍ أو علامةٍ؛ عُبِّرَ بالمصدر النَّكرةِ، للإشعارِ بأنَّه كان قد ضلَّ الطَّريقَ في تلك اللَّيلة الباردةِ، أو يكونُ قد استقبلته الطُّرقُ، فلم يعلمِ الطَّريقَ الذي له من غيره، وكان يريدُ أيَّ هدًى يهتدي به، وإن لم يكن بشرًا مخبرًا هاديًا للطَّريق، وإن كان المرادُ منَ المصدر خصوصَ اسمِ الفاعل، أي: هاديًا يدلُّني على الطَّريق؛ أفادَ أنَّه مصدرٌ سمّيَ به الفاعلُ مبالغةً في الهداية أو حُذف منه المضافُ، أي: ذا هدايةٍ أو على أنَّه إذا وُجد الهادي؛ فقد وُجِدَ الهُدى، والوجهُ الأوَّلُ أولى؛ لأنَّ الهُدى يعمُّ المعانيَ كلَّها[1]، وجاءت لفظةُ ﴿هُدًى﴾ منكَّرةً تعظيمًا لشأنها، ولتفيدَ التَّعميمَ؛ لأنَّه كان يبحثُ عن أدنى هُدى.

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ:

لكلِّ عبارةٍ في القرآن مقامُها وسياقُها

أوَّلًا: جاء في سورة طه، وفي سورة القصص ذكرُ (لعلَّ)، فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾، وقال: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص: 29]، وفي سورة النَّمل أتى بالسّين، فقال: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل: 7] وتوجيهُه أنَّ موسى عليه السلام ذكر معنًى السّين ولعلَّ في كلامِه، فكأنَّه قال: (سأذهب لعلّي آتيكم) للإشعارِ بأنَّه عزمَ على الذَّهاب، وتأكَّد عنده العزمُ، وكان متوقِّعًا حصولَ مقصودِه، ومناسبةُ التَّعبير بـ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ [النمل: 7] في سورة النَّمل أنَّه سبق الكلامَ على قصّةِ موسى قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النّمل: 6]، ففيه حَثٌّ على قوَّة التَّلقّي والثّباتِ عليه والدَّعوةِ إلى تبليغِه بقوَّة، فناسبَه مجيءُ السّين التي تفيدُ التّأكيدَ، فهي أقوى في ثبوت الخبرِ في المستقبل من (لعلَّ)، للإشعارِ بأنَّ موسى عليه السلام كان قويًّا في

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 53، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 38، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 16، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 6.

عزمِه كذلك، كما أنَّه في سورتَيْ طه والقصص ذكرَ (لَعَلَّ) بعد الإخبار عن سيرِه وسفرِه المُؤْذِنِ بالتَّعبِ والمشقَّة، وفي سورة القصص ذُكِرَ فيها خوفُ موسى ﷺ، فناسبه عدمُ القطع وذكْرُ التَّوقُّع، وأمَّا في سورة النَّمل؛ فلم يتقدَّم القصَّةَ ذكرُ السَّفرِ والسَّيرِ بأهلِه، فبعد أن ذكر إثباتَ تلقّي رسولِ اللّه ﷺ القرآنَ من لدن حكيم خبير، قال: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [النمل: 7]، فناسبَه مجيءُ السّين، فلكلٍّ موضعٍ لفظُه ومناسبتُه.

ثانيًا: جاء في سورة القصص تكريرُ (لَعَلَّ) لفظًا وفي سورة طه والنَّمل ذُكر اللّفظ مرَّةً واحدةً؛ لأنَّ ﴿أَوْ﴾ في قوْله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ نائبٌ عن ﴿لَّعَلِّيٓ﴾، فالعطفُ على نيَّة تكرير (لَعَلَّ)، و﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ تَتَضَمَّن معنى ﴿لَّعَلِّيٓ﴾؛ لأنَّ (لَعَلَّ) تتضمَّن معنى الاستقبال، فالتَّرجّي لايكونُ إلَّا في المستقبل[1].

ثالثًا: جاء في سورتيْ طه والقصص ذكرُ ﴿ءَاتِيكُم﴾ [القصص: 29] مرَّةً واحدة، وتكرَّر الفعلُ في سورة النَّمل، فقال: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [النّمل: 7]، ومناسبتُه أنَّه لمَّا اقترن الفعلُ الأوَّلُ بالسّين الدَّالَّة على تأكيد الفعلِ؛ ناسبه تَكرارُ الفعل المفيدُ تقويةَ تأكيدِ عزمِه على الإتيانِ بأحدِ الأمرين أو بكليهما، وأمَّا الغرناطيّ؛ فقد وجَّهه توجيهًا آخر، فقال: "وأما تَكرار: ﴿أَوْ ءَاتِيكُم﴾ [النمل: 7] في سورة النمل؛ فليس فيه إلَّا تَكرارُ ما يُحرزُ التّأكيدَ، وتأكيدُ ما هو خبر ليس أمرًا ولا نهيًا إنَّما ثمرتُه وفائدتُه صدقُ الإخبار، وذلك حاصل هنا سواء تأكَّد أم لم يتأكَّد، وإذا كان الكلامُ على ما قلنا، والصّدقُ حاصل على كلّ حال؛ فلا يُنكَرُ إذا حُكي بمعناه، أو يؤكَّدُ مرَّةً، ولا يُؤكَّدُ أخرى، إذ لا زيادةَ للتّأكيد فيه سوى الجريِ على مُرتكبات العرب في مثله[2].

رابعًا: جاء في هذه السورة قولُه تعالى: ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾، وفي القَصَص ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾ [القصص: 29]، وفي النَّمل ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [النمل: 7]، فذكرَ القبسَ في سورة طه،

(1) الكرماني، أسرار التكرار، ص: 174.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 334.

والجذوةَ في القصص، والشِّهابَ من نارٍ في النَّمل، وتوجيهُ الآيات على العمومِ في اختلاف الألفاظ في كلِّ سورة مع اتِّحادِ الواقعة والقضيَّةِ، هو أنْ يقال: إنَّ اللّه تعالى لم يخبرْ أنَّه خاطبَ موسى عليه السلام باللّغةِ العربيّةِ بألفاظٍ إذا عدلَ عنها إلى غيرها ممَّا يخالفُ معناها كان اختلافًا في القرآن، بل معلومٌ أنَّ الخطابَ كان بغير هذه اللّغة[1]، وأنَّ قولَ موسى عليه السلام لم تردْ حكايتُه قطعًا إلَّا بالمعنَى لاختلاف اللّسانَين؛ لأنَّ موسى لم يتكلَّم العربيَّةَ مع قومِه، وإذا تقرَّر كونُها بالمعنى، والتَّرادفُ فيما بين اللّغتين في كلِّ لفظتَين يرادُ بهما معنًى واحدٌ غيرُ مطَّردٍ، فلا إشكالَ في أنَّ المعنى قد يتوقَّف حصولُه على الكمال على تعبيرَين أو أكثرَ، لا سيَّما مع ما في اللِّسانِ العربيِّ منَ الاشتراكِ والعمومِ والخصوصِ والإطلاقِ والتّقييدِ والحقيقةِ والمجازِ وغيرِ ذلك من عوارض الألفاظ، فكيف ينكرُ اختلافُ التّعبير عنِ المعنَى الواحد بألفاظٍ وعباراتٍ مختلفةٍ، بل نقول: إنَّه لو كان المحكيُّ قولًا عربيًّا، وحُكي بالمعنى؛ لَما استُنكِرَ اختلافُ العبارةِ، فكيف مع اختلافِ اللّسانَين؟[2] فهذا التّوجيهُ على العمومِ في كلِّ الألفاظ التي وردت مختلفةً في قصص القرآن مع اتِّحادِ الواقعةِ، وأمَّا خصوصُ مجيء القبس مرَّةً والجذوةِ والشّهابِ في موضعَين آخرين؛ فهو أنَّها كلَّها شيءٌ واحدٌ، فالجذوةُ منَ النَّار خشبةٌ في رَأسِها قبسٌ لَها شهابٌ، فهيَ في السّور الثَّلاثِ عبارَةٌ عَن معنًى واحدٍ[3]، أو يقال: القبسُ هو النَّارُ التي تكونُ في رأس العود على معنى أخذِها للانتفاع منها، سواء أكانَ القبسُ جذوةً أم شهابًا، والجذوةُ هي قطعةٌ غليظةٌ منَ الحطب، فيها نارٌ لا لهبَ لها، أي: هي عودٌ قد احترقَ، فهي جمرةٌ ملتهبةٌ من نارٍ[4]، سواء أكانت صغيرةً أم كبيرةً، والشِّهابُ هو اللَّهبُ الذي فيه إضاءةٌ، فالقبسُ قد يكون جذوةً في بدايتِه، ويكونُ شهابًا بعد الجذوةِ أو بالعكس بأن يكونَ شهابًا عندَ النَّار، فإذا رجعَ إلى أهلِه؛ ضعفَ الشِّهابُ، وصار جذوةً، فلا تعارضَ في التّعبير، وأيضًا ذكر الجذوةَ والشِّهابَ مع الاصطلاء الذي هو الاستدفاءُ، لمناسبتِها له، وأمَّا في سورة طه؛ فقد ذكر اللّفظَ الأعمَّ؛ لأنَّه لم يذكرِ الاصطلاءَ، وإنَّما قصدَ مطلقَ الانتفاع.

(1) الإسكافي، درة التنزيل، ص: 891.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 337.
(3) الكرماني، أسرار التكرار، ص: 174.
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 332، وأبو حيان، تحفة الأريب، ص: 91، والجوهري، الصحاح: (جذو).

خامسًا: جاء في سورة طه تقديمُ الإتيان بالقبس على إيجاد الهُدى، وفي سورتَي النَّمل والقصص، قُدِّم الإتيانُ بالخبر على الإتيان بالشّهاب أو الجذوة، وبيانُه أنَّه لمَّا كان حالُ موسى وأهلِه في شدَّةٍ بسبب اللّيلِ البهيم وقسوةِ بردِ الشِّتاء، وكان في سفرٍ؛ قدَّمَ الإتيانَ بقبس من نارٍ؛ لأنَّه الأهمُّ لحالِهم، لعلَّهم يَصطلون بهذا القبس، ولأنَّ توقُّعَه الحصولَ على القبس أكثرُ؛ لأنَّه آنس النَّارَ، فقدَّم ما هو لأجلِهم ليأمنوا، ويَطمئنّوا، كما أنَّ في تأخير قولِه: ﴿أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ رعايةً للفاصلة[1]، وأمَّا في سورة النَّمل؛ فلم يتقدَّم ذِكْرُ السَّفر وتحمُّلِ أعبائه، فقدَّم ذِكْرَ إتيانه بالخبر الذي هو المقصدُ الأهمُّ لهم جميعًا على الإتيان بشهابٍ قبسٍ للاصطلاء، وأمَّا في سورة القصص؛ فقد تقدَّم ذكرُ مسيرِ موسى ﷺ وأهلِه، ومع هذا قدَّم الإتيانَ بالخبر على الإتيانِ بالجذوة، والسَّببُ أنَّه تقدَّمَ الآياتِ ذكرُ تلقّيه أخبارًا، منها: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [القصص: 15]، وقولُه: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: 22 - 23]، ولمَّا ذكر رؤيتَه النَّارَ؛ قال: ﴿*فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: 29]، فروعيَ تقديمُ الإتيانِ بالخبر على الإتيانِ بالنَّار، للإشعار بأنَّ موسى كان يتلقَّى أخبارًا في كلِّ موضعٍ يأتيه، ومنَ اللّطائف أنَّه في سورة طه قال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾، ولم يقل: (أو أجد على النَّار خبرًا)، ومناسبةُ ذلك لما بُنيت عليه سورةُ طه من تأنيس نبيِّنا ﷺ، وافتتاحِها بقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾، فناسبه ذكرُ وُجدان الهُدى، ومن تأمَّلَ ذلك؛ يَلُحْ له التَّلاؤمُ والتَّناسبُ[2]، والعباراتُ يكمِّل بعضُها بعضًا في إتمامِ المعنى وكمالِه.

سادسا: تنوُّع الإخبارُ في بيان قصَّة موسى، فقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾، وفي النَّمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 319.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 335.

بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧﴾ [النّمل: 7]، وفي القَصَص ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩﴾ [القصص: 29]، فهَذِه الآياتُ تشْتَملُ على ذكر رُؤْيَة موسَى النَّارَ وأمرِه أَهلَه بالمكث وإخبارِه إيَّاهُم أنه آنس نارًا وإطماعِهم أَن يَأْتيَهم بِنارٍ يصطلون بها، أَو بِخَبَر يَهْتَدونَ به إِلَى الطَّريق الَّتي ضلّوا عَنْها، لكنَّه نقَّص في النَّمل ذِكْرَ رُؤْيَته النَّارَ وأمرَ أَهله بالمكث اكْتِفاءً بِما تقدَّم، وزاد في القَصَص قَضاءَ موسَى الأَجَلَ المَضْروبَ وسيرَه بأَهْله إِلى مصر؛ لأنَّ سورةَ القصص قد بُنيت على الإطناب في ذكر قصَّةِ موسى منذ بدايتِها، قال تعالى: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [القصص: 3]، وتوجيهُه عمومًا أنْ يقالَ: إنَّ الشَّيْء قد يُجمَلُ ثمَّ يُفَصَّلُ، وقد يُفَصَّلُ، ثمَّ يُجمَلُ، وفي سورة طه التي هي من أوائل سوَرِ القرآن فصَّلَ، وأَجمَلَ في النَّمل، ثمَّ فصّل في القَصَص، وبالغ فيه لِما تقدَّم من بنائِها على قصَّةِ موسى عليه السلام[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيناس والرؤية:

الإيناسُ رؤيةُ الشَّيءِ بلا شُبهةٍ، والرّؤيةُ إبصارُ الشَّيء بالعينِ

الفرقُ بينهما: أنَّ الإيناسَ هو رؤيةُ الشّيء من بعيد رؤيةً واضحةً بيّنةً لا شُبهةَ فيها، وزاد الواحديُّ وغيرُه أنَّ الإيناسَ فيه معنَى السَّكنِ إلى المَرئيِّ والاستئناسِ به[2]، فلا يُؤتَى بلفظِ الإيناسِ إلَّا إذا أراد المتكلِّمُ تأكيدَ خبرِ الرّؤيةِ للشَّيء مع الاستئناسِ به والسَّكنِ إليه، وأمَّا الرّؤيةُ؛ فهي إبصارُ الشَّيء بالعين، وقد تُستعملُ بمعنى رؤيةِ القلب لتكونَ بمعنى العلمِ، كما تُستعملُ الرّؤيةُ بمعنى الظَّنِّ مجازًا[3].

(1) الكرماني، أسرار التكرار، ص: 174.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 363، والكرماني، لباب التفاسير، ص: 1396.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 94.

الحديث والخبر:

الخبرُ هو القولُ الذي يصحُّ وصفُه بالصّدقِ والكذبِ، ويكونُ الإخبارُ به عن نفسك وعن غيرك، وأصلُه أن يكونَ الإخبارُ به عن غيرك، والحديث في الأصل هو ما تُخبرُ به عن نفسك من غير أن تُسندَه إلى غيرك، وسمّي حديثًا لأنَّه لا تقدُّمَ له، وإنَّما هو شيءٌ حدثَ لك، فحدَّثتَ به، ففيه معنَى الإثارةِ والتَّنبيه إلى مزيدِ إصغاءٍ أكثرَ منَ الخبر، وفي الحديث معنَى شيوعِه بين النَّاس؛ لأنَّه يُتحدَّثُ به، ثم كثر استعمالُ اللَّفظين حتَّى سُمّي كلُّ واحدٍ منهما باسم الآخر، فقيلَ للحديثِ: خبرٌ وللخبرِ حديثٌ، ويجوزُ أنْ يُقالَ: إنَّ الحديثَ ما كان خبرَين، فصاعدًا؛ إذا كان كلُّ واحد منهما مُتعلِّقًا بالآخر، فقولُنا: رأيت زيدًا خبرٌ، ورأيت زيدًا مُنطلقًا حديثٌ، وكذلك قولُك: رأيت زيدًا وعمرًا حديثٌ مع كونِه خبرًا[1].

الحديثُ فيه معنى الشّيوعِ والتَّحدُّث به، والخبرُ ليس كذلك

الأهل والآل:

الأهلُ والآلُ كلاهما جمعٌ في المعنى فردٌ في اللَّفظ، والفرقُ بينهما: أنَّ الأهل يكونُ من جهةِ النَّسبِ والاختصاصِ، فمِنْ جهةِ النَّسبِ، يقال: أهلُ الرّجل، لقرابتِه الأَدنين، ومِنْ جهةِ الاختصاصِ يقالُ: أهلُ البصرة وأهلُ العلم، وإذا قُصِدَ الزَّوجُ؛ فيقال: أهلُه، ولا يقال: آله، والآلُ خاصَّةُ الرَّجلِ من جهةِ القرابةِ أوِ الصُّحبةِ والموالاةِ، فيقال: آلُ الرَّجلِ لأهله وأصحابِه، ولا يقالُ: آل البصرةِ وآل العلم، وقالوا: آل فرعون أتباعُه وكذلك آل لوط، وقالَ بَعضهم: الآلُ عيدان الخَيْمَة وأعمدتُها، وآلُ الرّجل مشبّهون بذلك؛ لأَنَّهم مُعْتَمَدُه، كما أنَّ الآلَ مختصٌّ بالإضافة إلى الأشرافِ العقلاء الذُّكور، فلا يقال: آلُ الإسكافيِّ، ولا آلُ مكَّة، ولا آلُ فاطمة، ويقال: آل النَّبيِّ وآلُ السُّلطان[2].

الأهلُ يكونُ من جهةِ النَّسبِ والاختصاصِ والآلُ خاصَّةُ الرَّجلِ من جهةِ القرابةِ أوِ الصُّحبةِ والموالاةِ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 281، والراغب، المفردت المفردات: (آل)، والكفوي، الكليات، ص: 172.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»